مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية

المدرس الدكتور
خالد توفيق مزعل
جامعة الكوفة- كلية الآداب

مقدمة

تُعَد الدراسات اللغوية معلماً من معالم التطور الذي وصل إليه التفكير الإنساني في القديم والحديث؛ ذلك بأنَّ اللغة تمثل فاعلية العقل مع محيطه؛ لذا هي أظهر مستويات السلوك الإنساني المنجَز في تواصل الفرد مع أبناء جنسه، وهذه حقيقة علمية التفت إليها الدارسون من لغويين وغير لغويين؛ فجاء اهتمامهم باللغة- في بداية الأمر- متفرعا عن العلوم الأُخرَ، نحو علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الفلسفة. ثم أدرك اللغويون- على وجه الخصوص- ضرورة أن تُدرَس اللغة بمعزل عن تلك العلوم؛ فمضوا يلتمسون السبل إلى دراستها بطريقة علمية تمنحها سعة من الاستقلالية والتفرد. وكانت الريادة في ذلك لعالم اللغة السويسري فرديناند دي سوسير الذي منح اللغة استقلالية علمية في مطلع القرن العشرين، حينما ذهب إلى أنَّ الدراسة الأصلح للغة هي أن تكون لذاتها ومن أجل ذاتها. كانت هذه الرؤية هي الأساس الذي دعا الدارسين إلى إعادة النظر في مناهج الدرس اللغوي، فنتج عن ذلك أن ظهرت مجموعة من المدارس اللغوية الحديثة، اختط كل منها سبيلاً في دراسة اللغة صار يتشيع لها جمع من الدارسين. وظهرت فيها نظريات عنيت بجانب البنية من نواحٍ مختلفة، ولعل أهم هذه النظريات هي البنيوية، والتوليدية التحويلية، والوظيفية، واللسانيات النصية. وهكذا نشأت المدارس اللغوية، وأصبح لفظ (مدرسة) مصطلحا يمثل مذهباً علمياً ينتمي إليه أنصار ومحبِّذون، يتقيدون بتعاليمه، ويسعون إلى تحقيق الغاية منه. ولا شك في أنَّ هذه المدارس باتت تمثل الفكر اللغوي الحديث في نظمها المختلفة على مستوى التحليل اللغوي، وهو ملحظ جذب انتباه الباحث؛ فطفق نحو تقصي النظر في مسار البحث اللغوي عن المعنى في مدرسة لندن؛ بوصفها المدرسة التي سبقت إلى العناية بالمعنى في مقابل الاهتمام الذي أولته

المدارس الأخرُ للبنية؛ لذا أخذ الباحث على عاتقه الوقوف على أسباب التحول نحو المعنى في تلك المدرسة، وبيان معايير التحليل اللغوي للمعنى عند ثلاثة من أعلامها هم مالينوفسكي، وفيرث، وهاليداي؛ لأنَّهم انفردوا عن أقرانهم في الاتجاه نحو المعنى، فجاء عمل الباحث متسلسلا في تقصي الفكرة منذ بدايتها عند الانثروبولوجي برونسلاف مالينوفسكي الذي قدم مفهومه عن المعنى اللغوي في سياق الاستعمال، فصاغه بمصطلح (سياق الموقف)، وصار ينادي بضرورة تطبيقه في الدرس اللغوي، فأخذه جون فيرث، وبنى عليه نظرية لغوية عرفت بـ(نظرية السياق)، ثم تلاه تلميذه مايكل هاليداي، وأتم عمل أستاذه الذي توفي قبل تمامه، فوظف رؤى السابقين عن سياق الموقف في نظرية جديدة عرفت بـ(نظرية النحو النظامي)، وهذه النظريات جميعا تسعى إلى دراسة المعنى اللغوي في سياقاته المتنوعة؛ لذا كان عنوان هذه الدراسة (مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية). واتخذ الباحث المنهج الوصفي سبيلاً إلى تقصي جوانب البحث كافة، سعيا إلى نتائج جديدة.

أما مادة البحث، فقد تمثلت في مدخل وثلاثة مباحث، خُصص المدخل منها لبيان حدود مدرسة لندن، وتحديد موقعها بين المدارس الأخرَ، من حيث أعلامها، وتوجهاتها، وأنماط البحث اللغوي فيها. وعني المبحث الأول ببيان مفهوم المعنى عند مالينوفسكي في ضوء رؤيته عن سياق الموقف، وجاء المبحث الثاني بيانا لمفهوم المعنى عند فيرث في ظل نظريته في السياق، أما المبحث الثالث فقد تقصى مفهوم المعنى عند هاليداي في ضوء نظريته الوظيفية في النحو النظامي. ثم وضع الباحث خاتمة أحصى فيها النتائج التي توصل إليها البحث، تبعها كشف بالإحالات ومصادر البحث.

وبعد، فإنَّ ما قدمه الباحث في هذه الدراسة لا يعد من الكمال بمكان، إلا ما سلم من الخطأ؛ إذ الكمال لله تعالى وحده، وهو من وراء القصد، وحسبي أن أقول﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[1].

مدخل:

شهد النصف الأول من القرن العشرين تطورا ملحوظا في مجال الدرس اللغوي، تزعمته مدرستان هما مدرسة جنيف التي ظهرت فيها اللسانيات البنيوية على يد اللغوي

فرديناند دي سوسير وتلامذته، وكان لها تأثير كبير امتد إلى أوربا وأمريكا حيث ظهر لها أقطاب بارزون هناك. أما الأخرى فهي المدرسة الأمريكية التي أسست اللسانيات التوليدية التحويلية بريادة اللغوي نعوم تشومسكي وتلامذته وتابعيه، وكان لهم صدى واسع في العالمين الغربي والعربي على حد سواء. بيد أنَّ الأمر لم يقتصر على هاتين المدرستين، فثمة مدارس أخرُ نشأت في تلك المرحلة، وحاولت أن تختط لعملها منهجا في التحليل اللغوي يغاير المدرستين السابقتين في الأسس والمفاهيم، ولعل مدرسة لندن هي خير مثال على ذلك، ولاسيما أنَّ رائدها جون فيرث قد تميز من أقرانه بمجموعة من المبادئ العملية لا يكاد يشاركه فيها أحد على مستوى التنظير والتطبيق.

أما أعلام هذه المدرسة، فمن الجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ مدرسة لندن ضمت باحثين سبقوا فيرث وعاصروه، ولم يكونوا أقل شأناً منه، ومن هؤلاء هنري سويت، ودانيال جونز. بيد أنَّ أعمالهم جاءت منصبة على الجانب الصوتي فحسب. أما العناية بجانب المعنى، فقد تجلت في أعمال جون فيرث وتلميذه مايكل هاليداي، وإذا جاز لنا أن نضيف إليهما الانثروبولوجي برونسلاف مالينوفسكي تكون السلسلة قد اكتملت في التوجه نحو المعنى.

أما مالينوفسكي، فقد كان الأصل في بلورة الفكرة عن المعنى؛ إذ خلص إلى ضرورة اعتماد (سياق الموقف) في دراسة المعنى اللغوي، وهو مفهوم قادته إليه الدراسات الميدانية التي أجراها على لغة البدائيين في مناطق معينة من أفريقيا.

جاء فيرث، واستثمر مفهوم (سياق الموقف) الذي قال به مالينوفسكي، معتمدا في ذلك على خبرته الطويلة في دراسة اللغة. واستطاع أن يضع نظرية لغوية تُنسب إليه وحده، تلك هي نظرية السياق. ويبدو أنَّ جلَّ الأعمال اللغوية التي أنجزها فيرث كانت معنية بجانبين هما (الصوت والدلالة). أما الجوانب الأخر (النحوية والصرفية) فلم يغفلهما، بيد أنَّه ضيق نطاق العمل فيهما حتى جاء تلميذه هاليداي، ووسع العمل بهما بعد وفاة أستاذه فيرث، وكان ذلك بداية لتأسيس نظريته في علم اللغة الوظيفي.

وإذا كانت المدرسة بمعناها الواسع تعني ((جماعة من العلماء أو الفلاسفة ينتسبون إلى مذهب واحد، أو يدافعون عن مبدأ أساس واحد))[٢] فإنَّ تسمية (مدرسة لندن) قد تمخضت عن إشراف فيرث على تدريب أغلب مدرسي اللسانيات في بريطانيا، فجاءت

أعمالهم مرآة لأفكار فيرث، وهذا ما جعل اسم (مدرسة لندن) ملائما للمنهج البريطاني المتميز الذي اختطه فيرث في هذا الشأن[٣]. فضلا عن ذلك إنَّ الحيز المكاني (الجغرافي) والأساس العلمي الذي انطلقت منه مدرسة لندن هو القسم الذي أسسه جون فيرث لعلم اللغة عام ١٩٣٢م في جامعة لندن، فكان هذا القسم سابقة لهذا النمط من الدراسات في بريطانيا، حتى غدا فيما بعد النواة التي انطلقت منها مدرسة لندن اللغوية.

إنَّ ما لفت انتباه الباحث نحو مفهوم المعنى في مدرسة لندن هو أنَّ هذه المدرسة تميزت من المدارس الأخر في التفاتها إلى الاستعمال الاجتماعي للغة، واتخاذه أساساً في دراسة المعنى، وجاء ذلك في خضم الصراع الدائر حول (البنية والفكر) في المدارس اللغوية الأُخرَ المعاصرة لها؛ إذ اعتمدت تلك المدارس على مبادئ الفلسفة والمنطق وعلم النفس[٤]. فعلى سبيل المثال كانت المدرسة الأمريكية تنحو منحى نفسيا في دراسة اللغة، فقد كان ليونارد بلومفيلد- وهو سابق لتشومسكي- من أهم أقطاب المدرسة الأمريكية، وكان اشد تأثرا من أقرانه بالمدرسة السلوكية في علم النفس؛ وبدا ذلك واضحا في كتابه Language الصادر عام ١٩٣٣م؛ إذ بناه على مبادئ السلوكيين، فكانت الصورة الذهنية للمادة اللغوية المختزنة في العقل البشري، والشعور، والتأثّر، والاستجابة نحو المثيرات، هي عماد التحليل اللغوي عنده. ولم يقتصر تأثير النزعة السلوكية على بلومفيلد، بل امتد إلى تشومسكي، فجاء عمله متأثرا ((بالوضعية الصارمة لعلماء النفس السلوكيين))[٥]، وبدا ذلك واضحا في الأسس الأولى التي أقام عليها نظريته. أما مدرسة لندن فقد كان التركيز على الجانب الاجتماعي في استعمال اللغة سمة منهجية طبعت أعمال الدارسين فيها، ولاسيما فيرث وهاليداي، ثم كان البحث عن كينونة المعنى السياقي هو الخيط الناظم لأعمالهم؛ لذا سينصب عملنا على تقصي مفهوم المعنى عند هؤلاء، بدءاً بمالينوفسكي، ثم فيرث، ثم هاليداي.

المبحث الأول

مفهوم المعنى عند برونسلاف مالينوفسكي (١٨٨٤- ١٩٤٢م)

ولد مالينوفسكي في بولندا، ثم انتقل إلى انكلترا، وقضى حياته جلها هناك حيث عمل أستاذاً لعلم الاناسة (الانثروبولوجيا) في مدرسة لندن للاقتصاد، وهذا يعني أنَّ مالينوفسكي لم يكن لغويا، بل كان عالماً في الانثروبولوجيا، بيد أنَّ فطرته اللغوية قادته

إلى أن يضع مفهوم (سياق الموقف: Context Of Situation) الذي غدا محور الدرس اللغوي في مدرسة لندن.

ظهر مفهوم المعنى عند مالينوفسكي عندما بدأ بحثه الميداني في جزر التروبرياند Trobriand، وهي جزر تقع في الباسفيك في جنوبي المحيط الهادي، على مقربة من غينيا الجديدة، قصدها مالينوفسكي، وعايش أهلها، حتى عرف لغتهم التي تُعرف بالكيريونيان، وأتقن مفاهيمها، على الرغم من أنهم كانوا قوما بدائيين يعيشون على صيد الأسماك وإنشاء الحدائق(٦).

كانت المشكلة التي واجهها مالينوفسكي في نقل أفكار هؤلاء الناس بلغة انكليزية هي أول عقبة اعترضت سبيله؛ إذ أنجز كثيرا من ملاحظه بلغتهم ومصطلحاتهم الخاصة، وحينما جاء يترجمها إلى الانكليزية أصابها الغموض والإبهام؛ بوصفها حاضنة تجسد النظم الثقافية التي تجتمع فيها العادات والتقاليد والديانات والمعتقدات، ومن ثم هي تمثل محور حياة أولئك البدائيين، وهي أمور لا معرفة لأصحاب الثقافة الغربية بها؛ فليس ثمة ما يقابلها في لغتهم وثقافتهم. وقد ساق مالينوفسكي مصداقا لذلك ترجمة حرفية حاول عن طريقها إيضاح كلام أحد الصيادين في تلك المناطق البدائية؛ إذ بدا ذلك الصياد وكأنه يتفاخر بكلامه قائلا: ((نحن نسير الخشبة الأمامية بأنفسنا... ونحن نلتفت ونرى صاحبنا، إنَّه يسير الخشبة الخلفية))(٧). ولعل صعوبة الظفر بمعنى هذا الكلام هو أمر واضح؛ لذا حملت تلك المشكلة مالينوفسكي على البحث عن سبيل تمكنه من ترجمة تلك المفاهيم والعبارت، فقاده ذلك إلى وضع ما يُعرَف بـ(سياق الموقف)، وهو عنده يعني مجموعة الظروف التي تحيط سياق التكلم، من زمان ومكان، وأحوال المشاركين في الخطاب، فضلا عن طبيعة البيئة والثقافة التي ينتمي إليها أطراف الخطاب. فعلى سبيل المثال، إنَّ كلمة (خشبة) في سياق الكلام الذي أورده مالينوفسكي قد تشير إلى مجذاف الزورق نفسه، أو قد تشير إلى زورق آخر خلفه. ثم اقتضى عمله إيضاحاً أكثر للجانب الثقافي عند تلك الأقوام، فصاغ مصطلحا آخر هو (سياق الثقافة: Context Of Culture) الذي تمثله مجموعة الأفكار والعادات والتقاليد والديانات والمعتقدات والتراث الذي ينتمي إليه هؤلاء البدائيون، ومن ثم هو يرى أنَّ هذين المصطلحين هما السبيل إلى فهم اللغة معنى وثقافة(٨).

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ البلاغيين العرب القدماء استعملوا مصطلحات قريبة من مصطلح (سياق الموقف) الذي قال به مالينوفسكي، مثل مصطلحات (المقال والحال والمقام). ويريدون بها الحال الذي يقتضى ضربا من الكلام دون سواه، ومناسبة المقال للمقام الذي يساق فيه؛ لذا كان معيارهم لبلاغة الكلام هو مراعاته مقتضى الحال والمقام مع الحرص على وضوح الدلالة، وجسدوا ذلك في مقولتهم الشهيرة: لكل مقام مقال. ولعل القزويني (٧٣٩هـ) في هذا السياق يكفينا مؤونة البحث والتقصي في قوله ((وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، فإنَّ مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام... وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب))[٩].

وأحسب أنَّ مالينوفسكي لم يكن يعني بمصطلحه تلك المفاهيم البلاغية، وما ينبغي له، ثم أنَّه لم يكن معنيا بمعايير الفصاحة في الكلام؛ فالسياق المعرفي الذي قاد إلى مصطلح سياق الموقف، والمعيار الذي أقيم عليه، والمعنى الذي قُصد به، كلها جوانب كفيلة بالحيلولة دون تطابقه ومصطلحات البلاغيين، غير أنَّ مصطلحه لامس شيئا من معنى مصطلحاتهم ولم يطابقها. ولاسيما أنَّ المصطلح فيما بعد سلك منحى أكثر سعة وأشد تخصصاً وتقنيناً عند فيرث.

لا ريب في أنَّ الفكرة التي قال بها مالينوفسكي عن السياق هي من الأهمية بمكان، بيد أنَّها تقتضي ردحا من الزمن يقضيه الفرد في معايشة الآخر- كما فعل هو- لضمان نجاحها على مستوى التطبيق؛ لذا إنَّ سياق التخاطب الآني قد يعجز عن بيان المعنى المراد، ولاسيما في سياقات التواصل التي يشوبها الغموض من حيث افتقارها إلى التنظيم في عرض الأفكار، وافتقارها إلى وحدة الثقافة من حيث الانتماء الديني أو القومي، وما يرافق ذلك من عادات وتقاليد ومعتقدات قد يجهلها الآخر، فضلا عن

تفاوت الحال والمقام بين أطراف الخطاب ثقافةً وخبرةً، ومن ثم سيكون الظفر بالمعنى الذي يقود إلى القصد من الصعوبة التي قد تصل إلى حد المستحيل.

وعلى صعيد آخر، لم تكن صعوبة الترجمة هي السبب الوحيد الذي حفَّز مالينوفسكي على البحث في المعنى، بل أنَّ طبيعة استعمال المفردات في سياقات معينة عند الأقوام البدائية كانت سبباً آخر قاده إلى ذلك؛ إذ لحظ أنَّ استعمال المفردات عند هؤلاء يمثل فعلاً إنجازياً يجعل من القول في لحظة ما بمنزلة السلوك العملي؛ ((فالصرخة التي تعلن عن وجود كمية من الأسماك تعني إعادة تنظيم جميع حركات القوارب من جديد، فالكلمات أدوات، ومعنى الأداة هو استعمالها))[١٠].

ولعل هذه الفكرة التي صاغها مالينوفسكي عن طبيعة المعنى الاستعمالي للمفردات هي التي أفضت بفلاسفة اللغة في أوربا إلى وضع (نظرية الأفعال الكلامية)، التي بدأها الفيلسوف النمساوي لودفيغ فتجنشتين حينما استثمر فكرة مالينوفسكي، وأعاد صياغتها، ثم تلاه الفيلسوف الانكليزي جون أوستن وتلميذه جون سيرل.

علاقة المعنى بالوظيفة عند مالينوفسكي

خلص مالينوفسكي من تطبيقه سياق الموقف إلى فكرة تناقض الأساس البنيوي الذي أقره اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير؛ إذ ذهب هذا الأخير إلى أنَّ اللغة تمتلك نظاما ذاتيا يكفل بيان طبيعة العلاقات الرابطة بين عناصرها، ويعمل على تنظيم تلك العناصر داخلياً، ومن ثم هو كفيل بتقديم المعنى للمتلقي من دون حاجته إلى الاستعانة بالسياق الخارجي لفهمها. أما مالينوفسكي فقد رفض مبدأ المعنى الكامن في التنظيم الذاتي للنظام اللغوي، مستندا في ذلك إلى أنَّ المعنى اللغوي يكون رهنا بالاستعمال الاجتماعي لعناصر اللغة، فهو من شأنه أن ينجز أفعالا لغوية بحسب سياقات الاستعمال التي تقتضيها.

وبناءً على هذا الفهم عرَّف مالينوفسكي المعنى بأنَّه: وظيفة العنصر اللغوي في السياق[١١]. أما الوظائف اللغوية، فقد بث حديثا متفرقا عنها في بحثه (مشكلة المعنى في اللغات البدائية) فاستوت عنده ثلاث وظائف هي:

١- الوظيفة التداولية: Pragmatic Function، ويراد بها مقدرة اللغة على إنجاز أفعال لغوية تتجلى في أحداث معينة.

٢- الوظيفة السردية: Narrative Function، وهي مقدرة اللغة على الاحتفاظ بالمعلومات وإعادة سردها عبر التاريخ.

٣- الوظيفة السحرية: Magical Function، وتعني إمكانات اللغة في التحكم بالبيئة الاجتماعية.

وتمثل هذه الوظائف في مجموعها نظام عمل مشترك يضطلع بمهمة بناء المعنى في سياق الموقف التواصلي بين المشاركين في الخطاب، ولاسيما إذا كانوا ينتمون إلى منظومة ثقافية واحدة.

وفي ضوء ما تقدم بات واضحا لنا أنَّ مالينوفسكي لم يكن في صدد وضع نظرية عن المعنى اللغوي، بل أنَّ السلوكات اللغوية التي عهدها عند البدائيين، وسبل التواصل اللغوي بينهم، حمله على الالتفات إلى سيرورة المعنى عند هؤلاء. ومن ثم وضع مصطلحي (سياق الموقف وسياق الثقافة)، وتكلم على الانجاز الفعلي للغة في سياقها الاجتماعي، فاستوى عنده المعنى دالا على استعمال العناصر اللغوية في سياقات التواصل الاجتماعي، وصار ينادي بتطبيق المفاهيم التي خلص إليها من أبحاثه الانثروبولوجية بشأن المعنى اللغوي؛ فدعا إلى ذلك في بحثه الموسوم (مشكلة المعنى في اللغات البدائية) الذي نشره عام ١٩٢٣م ضمن كتاب (معنى المعنى) للغويين الانكليزيين أوجدن وريتشاردز، فوجدت تلك الدعوى صداها عند معاصريه من لغويي مدرسة لندن، وفي طليعتهم فيرث ثم تلميذه هاليداي.

المبحث الثاني

مفهوم المعنى عند جون روبرت فيرث (١٨٩٠-١٩٦٠م)

ولد فيرث في مقاطعة يوركشاير في بريطانيا، ودرس التاريخ في مقتبل حياته الجامعية، ثم تحول إلى دراسة اللغة والأدب بعد ذلك؛ إذ عمل أستاذاً للأدب الانكليزي في جامعة البنجاب في المدة الواقعة بين عامي ١٩١٩- ١٩٢٨م. عاد بعدها إلى بريطانيا، وغدا أستاذا في قسم الصوتيات في الكلية الجامعية الكائنة في لندن؛ لذا يرى بعض الدارسين أنَّ فيرث هو أول من جعل اللسانيات دراسة علمية يُعتد بها في بريطانيا(١٢) ولم تكن كذلك من قبل.

في عام ١٩٣٨م انتقل فيرث إلى قسم اللسانيات في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، وهي عبارة عن معهد تابع لجامعة لندن تأسس عام ١٩١٦م، وفي عام ١٩٤٤م أصبح أول أستاذ في اللسانيات العامة في بريطانيا بأسرها.

المعنى وسياق الموقف عند فيرث

في ثلاثينيات القرن العشرين، شهدت أفكار فيرث اللغوية تحولا نحو مفهوم جديد هو مفهوم (السياق)؛ إذ وجد فيه سبيلا أمثل لدراسة المعنى اللغوي.

ولعل السبب الذي أفضى إلى هذا التحول يكمن في جانبين: أحدهما اللقاء الذي جمع مالينوفسكي بفيرث في تلك المرحلة، وكان الأول- كما أسلفنا- عالماً انثروبولوجياً بات يحث اللغويين على توظيف (سياق الموقف) في دراستهم المعنى، عن طريق استثمار النتائج التي خلص إليها في دراسته المعنى السياقي عند البدائيين. فكان فيرث هو الراعي الجديد لسياق الموقف.

أما الجانب الثاني، فيبدو واضحا في استعداد فيرث ذهنياً إلى استقبال سياق الموقف ذي الأساس الاجتماعي؛ إذ اضطلع فيرث في تلك المرحلة بتدريس علم الاجتماع اللغوي Sociology Of Language وعرف الصلات الوثيقة بين اللغة وتنوع سياقات الاستعمال الاجتماعي للغة، فكان لهذا أثر كبير في بلورة مفهوم السياق عنده، ومن ثم كان هذا المفهوم هو الأساس العلمي الذي بنى عليه رؤيته عن مفهوم المعنى في الاستعمال اللغوي. وهو أساس يستند إلى أنَّ المعنى هو نتاج الكلام المنجز في سياقات التواصل الاجتماعي، فكان يحاول الإجابة باستمرار عن سؤال دائم الحضور في تحليله اللغوي وهو: كيف تعمل اللغة في السياقات الاجتماعية المختلفة؟.

سعى فيرث منذ الوهلة الأولى التي تبنى فيها سياق الموقف إلى تقديم وصف يقنن هذا المصطلح في نظرية السياق، فجاءت أبعاده متمثلة بالآتي(١٣):

١- أحوال المشاركين في سياق الموقف ووظائفهم.

٢- الفعل الذي ينجزه المشاركون، وهو نوعان: لفظي، وغير لفظي.

٣-بيئة الموقف، أي الظروف والأحداث المحيطة بالمشاركين.

٤- الآثار الناتجة عن الفعل التواصلي في المشاركين.

ولم يقتصر فيرث على رؤية مالينوفسكي عن مفهوم سياق الموقف، بل عمد إلى استثمارها من منظور لغوي أوسع على مستوى التنظير والتطبيق يغاير المنظور الانثروبولوجي المحدد باللغات البدائية عند مالينوفسكي، ومن ثم كان مفهوم السياق مرتكز الدراسات الصوتية التطريزية Prosodic Phonology التي قام بها فيرث، منطلقا من إيمانه بوجود الترابط السياقي بين الصوت والمعنى، فضلا عن توظيفه السياق في دراسة مستويات اللغة الأخر الصرفية والمعجمية والنحوية والدلالية، وجميعها في منظوره تفضي إلى ما سمَّاه بـ(المعنى السياقي). وبناءً على ذلك أصبح مفهوم المعنى عند فيرث عبارة عن ((علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي؛ إذ تتحدد معاني تلك العناصر على وفق استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلقة))[١٤]، وهو أمر يستوي فيه استعمال الصوت المفرد والمركب، فضلا عن الكلمة في ضوء ما اصطلح عليه فيرث بـ(الاختيار: Choice) وسنرى فاعلية ذلك فيما يأتي.

علاقة الصوت بالمعنى السياقي

سعى فيرث إلى تأكيد الترابط الكائن بين الصوت والمعنى منذ الأبحاث الأولى التي قدمها في جانب الدرس الصوتي، أي قبل تبنيه مفهوم سياق الموقف؛ لذا كان المنحى الأول الذي تجلى فيه إيمان فيرث بفاعلية السياق في تحديد المعنى وبيانه، هو الترابط الذي لمسه بين استعمال الصوت والمعنى المراد. وكان الأساس الذي استند إليه في مذهبه هذا، هو أنَّ النظام الصوتي ليس سوى بنية من نظم الاختيارات المتاحة، وهذه الأخيرة تمثل نظماً من المعنى التي يقصد إليها المتكلمون في اختياراتهم القائمة على ما يقتضيه التواصل الاجتماعي[١٥].

بيد أنَّ الأمر الذي أُخِذ عليه في هذا المنحى، هو أنَّه ساوى- في نظرته تلك- أصوات البناء، ولاسيما الصوامت المفردة في حال اجتماعها في سلاسل خطية مقطعية syllabic في بعض الكلمات، على أساس أنَّها تمثل وحدات نغمية مقصودة، ساواها مع الاستعمالات الصوتية التي يُقصَد بها إيجاد معنى سياقي، كالنبر، والتنغيم. فعلى سبيل المثال هو يرى أنَّ التباينات الصوتية التي ينتجها صامت معين مثل (b) أو (n) في بداية بعض الكلمات الانجليزية، و (الباء) أو (النون) في بعض الكلمات العربية، ما هي إلا تحديد لوظيفته الصوتية في السياقات التي استعمل فيها في ضوء النظام الصوتي للغة؛

بوصفه نظاماً قميناً بتقديم بدائل أخر لمستعمل اللغة، وحجته في ذلك أنَّ ((النظام الصوتي في أية لغة من اللغات يتألف من عدد من النظم التي تحتوي احتمالات بديلة تؤدي عملها في نقاط مختلفة من الوحدات الصوتية كمقاطع الكلمات syllables، وليس ثمة داع لمطابقة البدائل في نظام ما مع بدائل أخرى في نظام آخر))[١٦]. فكلمة مثل Limp /lɪmp/ في الانكليزية يجتمع الصامتان الأنفي والشفوي في نهايتها /mp/ في وحدة خطية نغمية، ولها بدائل في النظام الصوتي نفسه، تستعمل في سياقات متنوعة، نحو الكلمات: Link /lɪnk/ ، Lint /lɪnt/[١٧]. وصوت (القاف) في كلمة (قال) العربية يمثل جزءاً من نظام الصوامت القابلة للاستبدال معه، ومن الممكن أن تتضح تلك البدائل في السياقات التي تقتضي صوامت أخرَ من ذلك النظام لتحل محل القاف مثل /ص، ج، ن، س، م ...الخ/، فتصبح (صال، جال، نال، سال، مال) وغير ذلك[١٨]. وهذا- من وجهة نظره- دليل على أنَّ النظام اللغوي الواحد يضم في طياته عدة أنظمة صوتية، من شأنها أن تمد المتكلم بالبدائل على نحو يتناسب والمعنى في سياق الموقف التواصلي.

ولم يقف فيرث عند دراسة تلك الوحدات الصوتية الخطية ووظيفتها في بناء المعنى، بل تجاوز ذلك إلى الكلمة، والقول، والجملة، فدرس علاقة البنيات الصوتية التطريزية Prosody بالمعنى في مجموعة من الثيمات هي: النبر، والتنغيم، والإيقاع، والوقف، والجهارة، والطول، والسرعة، والتشفيه، والتأنيف[١٩]. وهي مصطلحات بعضها خاص به.

وجد هذا التوجه الصوتي صداه عند الباحثين في مدرسة لندن اللغوية، فاتجهوا نحو مباحث البنيات الصوتية التطريزية Super Segmental، وطفقوا يبحثون عن العلاقة الرابطة بين الصوت والمعنى في النبر والتنغيم.

وبعد فإنَّ التفات فيرث نحو العلاقة بين الصوت والمعنى لهو أمر جدير بالاهتمام والرعاية؛ ولاسيما أنَّه غدا رائجاً في أيامنا هذه. فالفكرة التي قدمها فيرث عن نظام البدائل الصوتية في النظام اللغوي الواحد هي ملحظ دقيق في جانب الدلالة الصوتية، لكن الوقوف عليها يقتضي من الباحث الإلمام التام بفصائل الوحدات الصوتية البديلة في النظام اللغوي، وتكون سياقات الاستعمال المتنوعة سبيله إلى الظفر بالمعاني المتنوعة

التي تحققها تلك الاستعمالات البديلة للصوامت والصوائت. ولا يخفى على دارسي اللغة ما في هذا العمل من صعوبة ومشقة قد يفني الباحث عمره في تحقيقها ويقضي قبل بلوغ غايته. أما مباحث النبر والتنغيم والجهر وغيرها، فهي تقنيات تعبيرية لا شك في أنَّها تنجز معاني سياقية مقصودة، غير أنَّها- وهذه الحال- قد تكون أنجع في سياقات التواصل الشفاهي (النطقي) أكثر منها في سياقات التواصل الكرافي (الكتابي)

نظام التوزيع السياقي وتنوع المعنى

كان الأساس النظري الذي انطلق منه فيرث لدراسة المعنى اللغوي هو رؤيته القائلة بأنَّ اللغة عبارة عن مجموعة من الأنظمة المتشابكة polysystemic، ولكي يقدم منهجا للظفر بالمعنى قال إنَّ النظام System كيان لغوي قائم على طبيعة العلاقات الرابطة بين العناصر التي تؤلف وحدةً كلاميةً محددة للمعنى، وهي في الوقت نفسه غير منفصلة عن الأنظمة الأخَرَ، التي من الممكن أن نصطلح عليها هنا الأنظمة الكلية الشمولية. وهذا يعني أنَّ الأنظمة الجزئية تنتج في مجموعها النظام الكلي الحاكم للمعنى في الاستعمالات اللغوية الخاصة بمجتمع معين أو المشتركة بين مجموعة من المجتمعات.

أما أنظمة البناء اللغوي فهي ضربان عند فيرث(٢٠): نظام العلاقات الأفقيةSyntgmatic Relations ويتجلى هذا الضرب في الجانب الأفقي لاجتماع الكلمات في وحدة كلامية تحتكم في علاقتها إلى قواعد الإسناد. ونظام العلاقات الرأسية Paradigmatic Relations الذي يبدو في نظام الاستبدالات المتاحة بين عناصر اللغة، نحو: حضر الطالب في الصف، وحضر الأستاذ في الصف، وحضر المدير في الصف. والنظام الثاني عند فيرث يصدق على العناصر الصوتية، والصرفية، والمعجمية؛ لذا نادى بمبدأ التوزيع السياقي لعناصر اللغةContextual Distribution(٢١).

وفي ضوء ذلك بدا مفهوم النظام جلياً عند فيرث في ناحيتين: إحداهما تقصِّيه الأنظمة الحاكمة لبناء المعنى في العناصر المفردة، ومثال ذلك حال الإفراد والجمع وعلاقتهما ببناء المعنى اللغوي؛ فهو يرى أنَّ المفرد الذي يرد في نظام بنائي محكوم بتصريفين فقط هما (الإفراد والجمع) كما في نظام الانكليزية، يكون ((له معنى نحوي يختلف عما هو عليه في نظام ثلاثي (مفرد ومثنى وجمع) أو رباعي، كما في اللغة الفيجية Figian(٢٢) التي تفرق بين المفرد والمثنى وجمع القلة وجمع الكثرة))(٢٣). فضلا عن

ذلك هو يرى أنَّ معنى (الاسم) يختلف بحسب النظام الذي ينتمي إليه من حيث أقسام الكلم؛ فالاسم له معنى في النظام الثلاثي الذي تكون أقسامه: اسماً، وفعلاً، وحرفاً، على غرار نظام العربية، وهو يختلف عما هو عليه في النظام الثماني مثلا، كما هي الحال في نظام الانكليزية الذي تمتاز فيه الصفة والضمير وظيفياً من الاسم والفعل والحرف(٢٤).

أما الناحية الثانية لمفهوم النظام، فقد تجلى عند فيرث في جانب التوزيع السياقي للأصوات والمفردات، فعلى مستوى التوزيع الصوتي، ذهب فيرث مذهبين لإيضاحه، الأول تكون فيه الوظيفة الأصواتية وظيفة ثانوية، وذلك حينما نعمد إلى تقصي العناصر الصوتية التي تنتمي إلى نظام استبدالي واحد خارج سياقات استعمالها؛ من أجل إحصائها وبيانها فقط. أما المذهب الثاني، فهو أن نعمد إلى تقصي تلك البدائل الصوتية في سياقات استعمالها، وأن نحدد نسبة تكرار الصوت نفسه في سياقاته المتنوعة، فهذا كفيل ببيان قيمة الصوت على مستوى بناء المعنى السياقي في ظل النظام الأصواتي الشامل(٢٥).

أما على مستوى المفردات، فقد أقام فهمه للتنوع الحاصل في معنى الكلمة نفسها على أساس تنوع السياقات التي ترد فيها، وهذا يعني أنَّ ((معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي. ومعنى الكلمة- على هذا- يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى تبعا لتوزعها اللغوي Linguistics Distribution))(٢٦). وبحسب هذه الرؤية تستوي عند فيرث الكلمات في حال إيرادها منطوقة في سياق حواري أو في حال توظيفها في تركيب مكتوب، فالأساس في تحديد معناها هو الاستعمال السياقي.

فلو تتبعنا الاستعمالات النحوية للمفعول به مثلا في نصوص مختلفة، سيكون ذلك سعياً منا للظفر بالمعاني المتنوعة الناتجة عن التنوع السياقي لاستعمال المفردات المختلفة في الموضع نفسه على أساس ما يسمح به نظام العلاقات الرأسية فيما بينها، فلو قلنا: ركب زيد رأسه وانطلق، وفي سياق آخر قلنا: ركب زيد سيارته وانطلق، فإنَّ اختلاف الماهية الوظيفية بين المفعول الأول (رأسه) والمفعول الثاني (سيارته) هو أمر يقتضي اختلاف معنى (الركوب) الوارد في التركيبين، على الرغم من أنَّ الفاعل الذي أنجز حدث الركوب في الفعل هو نفسه (زيد)، ومثل هذا نقول في اختلاف معنى الانطلاق بين

التركيبين؛ وهذا جدير ببيان الاختلاف الكائن في وظيفتيهما في الكيان الموضعي المتماثل في التركيبين، ومن ثم هو كفيل بتحديد المعنى المراد منهما في سياق الاستعمال. من هنا نقول إنَّ النظام التوزيعي للمفردات، الذي أتاح استبدال المفعول به في التركيب الثاني، هو الذي أفضى إلى إنتاج معنى جديد اختلفت معه ماهية الركوب والانطلاق من جهة، واختلفت وظيفتيهما من جهة أخرى، وهو اختلاف مرهون بنظام الاستعمال الاجتماعي للجملتين من حيث التوزيع السياقي للمفردات في نظامين مختلفين من نظم التواصل.

ولو أخذنا مثالاً آخر للصفة المفردة (Good) ومقابلها العربي (حسن)، فمن الممكن أن ترد دالة على معانٍ مختلفة تبعاً لتنوع السياقات التي ترد فيها، فقد ترد وصفا لشخص، فنقول: هذا رجل جيد، وهذه امرأة جيدة، وفي هذين المثالين تعني حسن الجانب الخلقي، وهو أمر مفهوم من السياق الاجتماعي لاستعمال المفردة، بيد أنَّ المفردة نفسها قد ترد وصفاً لشيء مادي أو مجرد، فنقول: هذا الماء جيد، والجو حسن اليوم، والبحث جيد، وهي في هذه الأمثلة تدل على النقاء والصفاء، والجدوى العلمية، وكل تلك الدلالات هي نتاج التوزيع السياقي للمفردة نفسها.

وعلى صعيد النصوص العربية مثلا نجد التنوع في معنى المفردة نفسها يستند إلى توزيعها السياقي، ومثال ذلك قوله تعالى ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُم إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير))[٢٧]. وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في من حضر بدراً ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُم الجَنَّة))[٢٨]. فالنصَّان وإن كانا مقتضبين من سياقيهما الأصليين، بيد أنَّهما ما زالا يحملان دلالة بينة في ضوء السياق الذي أوردناهما فيه؛ ومن ثم يقومان شاهداً على التنوع المعنوي للمنحى التوزيعي للمفردات؛ ذلك بأنَّ الأمر في الآية ((اعملوا ما شئتم)) يقود المتلقي إلى معنى التحذير القائم على الوعيد بالعقاب، بيد أنَّ الأمر نفسه الوارد في الحديث النبوي يشير إلى التلطّف والوعد بالمغفرة، على الرغم من وحدة الصياغة في النصين. وهذا التنوع المعنوي يعود إلى التوزيع السياقي في استعمال التركيب، فهو يستدعي معنى الوعيد بالعقاب في الآية، ومعنى الوعد بالمغفرة في الحديث النبوي.[٢٩].

ولما كان ذلك كذلك أفضت تلك الرؤية بفيرث إلى القول بأنَّ المعنى ليس مستوى مستقلا من مستويات اللغة: الصوتية والصرفية، والمعجمية، والنحوية، والدلالية. بل هو

مفهوم يتماهى والوظيفة السياقية، وهو في ذلك يلتقي ومالينوفسكي الذي ذهب إلى أنَّ وظيفة العنصر اللغوي في سياق معين هي معناه. وبهذا صار المعنى عند فيرث يتجلى في خمسة مستويات تبعاً للعنصر البنائي الحاوي له، وهي:

١- المعنى الصوتي
٢- المعنى المعجمي
٣-المعنى الصرفي
٤- المعنى النحوي
٥- المعنى الدلالي

والمستوى الأخير عند فيرث يمثل وظيفة القول في السياق اللغوي (البنائي)؛ لذا أضاف إليه المعنى السياقي (الاجتماعي)؛ فأصبح محور الفروع الأُخرَ جميعاً، وهو رأي بناه على مبدأ الشمولية في النظام الذي تمثله سيرورة المعنى الاجتماعي بالقياس إلى نظام المعنى الجزئي الذي تمثله وظيفة العناصر اللغوية الواردة في السياق اللغوي من جهة، وطبيعة العلاقة الرابطة بينها من جهة أخرى.

شمولية المعنى السياقي عند فيرث

وضع فيرث لعمله اللغوي منهجاً محددا تجلى في مجموعة من المبادئ، لعل أهمها في سياق بحثنا هو أنَّ فيرث يرى أنَّ الأحداث اللغوية- سواء أكانت منجزة بكلمات أم جمل أو مقاطع- ما هي إلا وحدات متكاملة في عناصرها اللغوية من حيث أداء الغرض المنوط بها. وهذا يعني عدم إمكان الفصل بين العناصر اللغوية بداعي دراستها مجردة من معناها، بل إنَّ العناصر الصوتية، واللفظية، والصرفية، والتركيبية، ما هي إلا مستويات بنائية مرتبطة بالمعنى السياقي ارتباط الكائن بكينونته الوجودية، ومن دونها يغدو عدما غير ملحوظ. وهو في منحاه هذا يستثمر سياق الثقافة Context of Culture الذي قال به مالينوفسكي؛ إذ يرى فيرث أنَّ سياق الثقافة يمثل السياق الأكبر الذي تنضوي تحت لوائه السياقات الجزئية التي يمثل كل منها عضوا فاعلا مآله السياق الأكبر(٣٠).

وبناءً على ذلك ذهب فيرث إلى أنَّه ليس لدارس اللغة أن يشرع بتقسيم عناصرها في فروع مستقلة بعضها عن بعضها الآخر، بل ينبغي دراستها في سياق استعمالها، ويكون

المعنى السياقي هو الأساس في ترابط عناصرها وأداء وظيفتها في التواصل. فالكلمة بحسب فيرث ((هي كلمة جديدة في كل سياق تقع فيه، فليست المسألة إذن تعدد معانٍ، وإنَّما هي تعدد استعمالات في سياقات مختلفة))[٣١]

ومصداق ما تقدم لفظة (ولد) في نظام العربية، فهو لفظ يجتمع في معناه الخواص الصوتية التي تؤلف جزءاً من معناه العام، إلى جانب أجزاء المعنى الأخر التي تؤلفها الخواص الصرفية من حيث وظيفة صيغتها، ثم تأتي الخواص المعجمية لتقدم جزءاً من المعنى التجريدي العام، فضلا عن الخواص النحوية المتمخضة عن وظيفة الإسناد وخواص الموضع الذي تحتله المفردة في سياق الجملة، ثم يأتي الجانب الدلالي ليقدم معنى المفردة أو الجملة على مستوى التركيب اللغوي (السياق الداخلي). وكل ذلك يمنحها جزءاً من المعنى[٣٢]. أما المعنى السياقي، فهو الذي يمنح المفردة معناها المحدد على مستوى الاستعمال الاجتماعي (السياق الخارجي). فقد يُقال: يا ولد. ويكون معنى المفردة في سياق النداء هذا هو التنبيه الذي يراد به النهر تحقيرا أو بيانا لعدم أهلية المخاطَب من الناحية العقلية. أما القصد المنجز بتلك العبارة الندائية، فقد يكون طلب الكف عن اللغو أو العبث أو الكذب، أو غير ذلك. وقد ترد المفردة نفسها في سياق قولي آخر، وذلك في موضع المفعول به الموصوف نحو قولنا: رُزِقْتُ ولداً صالحاً. ويكون المراد هنا هو التعبير عن حال الابتهاج الناتجة عن المفعول وصفته (ولداً صالحاً). بيد أنَّ المفعول نفسه قد يتحول بالمعنى إلى حال النقيض في سياق آخر يُقال فيه: أنجبت ولداً عاقاً. ففي هذا السياق يكون الكلام تعبيرا عن حال الامتعاض وخيبة الأمل التي تصاب بها الأم من جراء السلوك الناتج عن المفعول به نفسه (ولدا)، ثم استحال سلوكه في التركيب إلى صفة له فأصبح (ولداً عاقا). وكلا التركيبين يلتقيان في وحدة الموضع النحوي للفظة (ولد)، بيد أنَّهما يخضعان في بنائهما إلى معنى أشمل هو المعنى السياقي، الذي يحتكم إلى النظام الاجتماعي في استعمال المفردات كافة.

وفي ضوء ما تقدم تتضح المزية الشمولية للمعنى السياقي عند فيرث ((فالمعنى اللغوي عنده ليس شيئا مخزونا في الذهن أو في العقل، أو علاقة بين الشيء وفكرته، وإنما هو عبارة عن مجموعة الخواص والمميزات اللغوية، وهذه الخواص والمميزات لا يمكن النظر

فيها دفعة واحدة، ولا يقوى على دراستها فرع واحد من علوم اللغة))[٣٣]. ولما كان الأمر كذلك وضع فيرث أسساً ينبغي مراعاتها من أجل الظفر بالمعنى السياقي، وهي:

١- مراعاة ظروف الموقف التواصلي وملابساته.

٢- مراعاة أحوال المتكلمين والمتلقين، وتقصي طبيعة العلاقة الرابطة بينهم.

٣-لحاظ ما يتميز به الكلام من صفات صوتية كالتنغيم والنبر، وما يصاحب ذلك من مقاصد.

٤- وعلى مستوى التواصل المباشر، ينبغي لحاظ الإشارات الجسدية التي ترافق عملية التواصل، كتحريك اليدين، أو العين، أو هز الرأس.

٥- مراعاة زمان الكلام ومكانه وخواص كل منهما.

وحري بالباحث في هذا المقام أن يزيل اللبس الذي قد يعتري رؤية فيرث عن شمولية المعنى السياقي. فهو لم ينكر مستويات اللغة وفروعها، بيد أنَّ منهجه الوصفي في التحليل جعله ينظر إلى مستويات اللغة (الصوتي، والصرفي، والمعجمي، والنحوي، والدلالي) على أنَّها جميعاً تمثل شبكة من العلاقات يكمل بعضها بعضا في عملية التحليل، فهي في منظوره شبيهة بفروع الشجرة من حيث استقلالها عن الكيان الكلي وتبعيتها له في الوقت نفسه. ويحسب الباحث أنَّ متابعة الاستعمال المطرد لعناصر اللغة في سياقات التواصل الاجتماعي، واتخاذ وظيفة العنصر أساساً في التحليل اللغوي، وجعل البنية كياناً تابعاً للوظيفة في بناء المعنى؛ هو الذي أفضى بفيرث إلى رؤيته القائلة بشمولية المعنى السياقي.

علاقة المعنى بالتلازم اللفظي عند فيرث

لقد كان فيرث حريصا على أن يقدم نظرية شاملة عن المعنى؛ لذا لم يقتصر على سياق الموقف، بل تجاوزه إلى مناحيَ أخرَ بدا فيها المعنى جلياً، ومنها التلازم Collocation، وترجمه بعض الباحثين العرب بألفاظ أخرَ: كالتراصف، والاقتران اللفظي، والتضام، والمصاحبة، وغير ذلك، وجميعها تصدق على المفهوم الذي قدمه فيرث. والتلازم هو ((أن تجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى على نحو يجعلنا بحكم العادة والألفة أن نتوقع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين))[٣٤]. وقد ذكر فيرث أنَّ التلازم يمثل ظاهرة تقع في أغلب اللغات إن لم يكن جميعها، فهي تقع في العربية مثلما تقع في

الانكليزية أو الفرنسية أو غيرها، وأحسب أنَّ مصداق كلامه هو أنَّ علماء العربية قديماً رصدوا هذه الظاهرة في درج الكلام، وأشاروا إليها في نصوص من الاستعمالات الاعتيادية، ونصوص من الشعر والنثر، فضلا عما ورد منها في سياقات التعبير القرآني، ومثال ذلك أنَّ القرآن غالبا ما يذكر الإيمان مصحوبا بالعمل الصالح، فلو تتبعنا قوله تعالى ((الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)) لوجدناه تعبيرا مطردا في غير موضع من الذكر الحكيم، وهو ملحظ وقف عليه علماء العربية وعدُّوه من الاطرادات الأسلوبية في التعبير القرآني.

أما فيرث فقد اتَّخذ التلازم سبيلا منهجية إلى رصد المعنى الناتج عن العلاقة الرابطة بين الألفاظ المتلازمة على المستوى المعجمي؛ ذلك بأنَّ التلازم يحمل ضربا من المعنى يقع بين جانبين هما: الموقف Situation والنحو Grammar، بيد أنَّه لا ينتمي إلى أي منهما إلا جزئيا؛ لذا وجد فيرث أنَّه ينتمي إلى منطقة وسطى بينهما وهي المعجم. ويتم ذلك في الوقوف على معنى كل من الألفاظ المتلازمة في المعجم؛ ليكون ذلك سبيلا إلى رصد العلاقة الجامعة بينهما، ومن ثم بيان المعنى الناتج عن اجتماعهما.

وقد ساق فيرث مثالا على ظاهرة التلازم لفظة (Ass) الانكليزية، ويقابلها (حمار) في العربية. هذه اللفظة غالبا ما ترافق لفظة Silly في الانكليزية، فيقال: Silly you ass، وتعني: أنت أيها الغبي. وهناك ألفاظ أخرُ ترد متساوقة وتلك الجملة نحو: Stupid بليد، أبله، أحمق، وكذلك Obstinate عنيد، وأحيانا Awful مرعب، و Egregious فضيع أو فاحش (في منتهى الرداءة)[٣٥]. وكذا الحال في لفظة: Night فمن الألفاظ التي تلازمها غالباً لفظة: Dark. وفي العربية لا نستعمل (سرب) مع الأغنام، بل نستعمل (قطيع)، في حين نستعمل الأولى مع الطيور.

وسبق لنا أن ذكرنا في مبحث النظام والتوزيع السياقي، أنَّ الأنظمة اللغوية عند فيرث ضربان، ضرب تمثله العلاقات الرأسية على وفق مبدأ الاستبدال الموضعي بين عناصر اللغة في سياق معين، وضرب تمثله العلاقات الأفقية بين المفردات المتجاورة في الجملة، والتلازم تابع لهذا النمط من العلاقات، بيد أنَّه تلازم معجمي غير نحوي؛ لذا عمد فيرث إلى دراسة تلك الظاهرة في شعر (سوينبرت) الشاعر الانكليزي؛ كي يثبت ما ذهب إليه حينما عد التلازم ظاهرة مطردة في الكلام الاعتيادي وفي لغة الإبداع

أيضاً[٣٦]. وقد ساق مثالا من شعر سوينبرت بدا فيه التلازم بين المفردات أمراً واضحاً، وهو قوله:

Delight, the root less flower
And love, the bloom less bower.

يبدو في هذين الشطرين أنَّ التلازم اللفظي قد وقع في موضعين: Root less flower في الشطر الأول، وتعني جذر من دون وردة، والجذر هو أحد الألفاظ الملازمة للوردة؛ بوصفه أساس الحياة فيها، ويقابله التلازم اللفظي Bloom less bower في الشطر الثاني، وتعني زهرة من دون خميلة، والزهرة هي جزء من عالم أوسع تلازمه، وقد جسدته لفظة الخميلة. من هنا نقول إنَّ فيرث قد لحظ ما في هذا التلازم من تقنية تعبيرية ضمنها الشاعر معنى أضمره في توالي المتلازمات اللفظية؛ لذا عمد إليها فيرث لبيان المدلول الذي تقدمه على مستوى العلاقات الأفقية الكائنة بين العناصر اللفظية في القصيدة.

وفي ضوء ما تقدم نكون إزاء ضربين من التلازم: أحدهما يرد في لغة الاستعمال اليومي، وهذا الضرب لا يتجاوز فيه المعنى حدود المستوى المعجمي. أما الآخر فهو الذي يرد في سياق النص الأدبي، ويكون- في هذه الحال- خاضعا لخصوصية الاستعمال الإبداعي التي يراد بها إيجاد ضرب من الشعرية تستتر فيه مقاصد المنشئ. فقد تُستعمَل عبارات من مثل (بياض الثلج، وسواد الليل، وشعاع الشمس)، ويكون التلازم بين ألفاظها مألوفاً في لغة التواصل اليومي، بيد أنَّ العبارات نفسها تقدم معنى خاصا يعبر عن مقاصد المبدع، إذا ما وظفت في قصيدة شعر أو رواية. والظاهر من أمثلة فيرث التطبيقية أنَّه لحظ الفرق بينهما، بيد أنَّه وجد أنَّ كليهما لا يتجاوزان دلالة الاستعمال اللفظي؛ لذا نقول إنَّ مذهب فيرث في التلازم اللفظي يمثله الجانب المعجمي، ولا يتعدى إلى سياق الموقف الذي يُعنى بربط الحدث الكلامي بسياقه الاجتماعي. لذا هو معنى خاص لا يتعدى جانب التناسب بين الألفاظ المتجاورة من حيث قبولها التوارد معاً في سياقات مختلفة. وأحسب أنَّ إدراج هذه الظاهرة في نظرية الحقول الدلالية للألفاظ لهو أجدى نفعاً، فيقال: حقل الألفاظ المتلازمة.

مآخذ فيرث على منهج مالينوفسكي

لقد ثبت لدينا بما لا يقبل الشك أنَّ فيرث كان متأثرا بمعاصره مالينوفسكي؛ إذ أخذ عنه مفهوم (سياق الموقف)، واستثمره بخبرته اللغوية التي أفضت به إلى تحويل المصطلح إلى نظرية عُرِفت بـ(نظرية السياق). بيد أنَّ ذلك لم يمنع فيرث من الإشارة إلى مواضع الضعف التي بدت في رؤية مالينوفسكي.

فقد أخذ عليه أنَّه كان براجماتيا في نظرته للاستعمال اللغوي؛ ذلك بأنَّه قصر رؤيته على شواهد محددة من اللغات البدائية فحسب، وقصد من ذلك أن يدعم رؤيته عن سياق الموقف، ومن ثم لم يتجاوز ذلك إلى رؤية تتسم بالشمولية، وهو عمل يشوبه النقص والضعف المنهجي في نظر فيرث؛ لذا أخذ عليه تلك النزعة التخصصية التي اتسمت بها رؤيته، فهي تفتقر إلى الإعمام والشمول، ومن ثم هي غير قابلة للتطبيق على المعنى السياقي بكل جوانبه.

وقد علل بعض الدارسين القصور الذي أشار إليه فيرث، بأنّ قالوا إنَّ مالينوفسكي كان عالما انثروبولوجيا ولم يكن عالم لغة. فهو معني باللغة والمعنى عناية عارضة قادته إليها المشكلات التي اعترضت سبيله في سياق توثيق المعلومات التي خلص إليها من بحثه الميداني في الأجناس البشرية. وفي مقابل هذا كان فيرث معنيا بالثقافة الإنسانية بغاية وضع نظرية لغوية بوصفه عالم لغة(٣٧). فكان سياق الموقف سبيله إلى ذلك حينما جعله أساسا منهجيا بنى عليه دراسته الأحداث اللغوية في مستوياتها البنائية التي تفضي إلى المعنى الاجتماعي عن طريق تفاعلها وظيفياً في شبكة عمل واحدة.

المآخذ على نظرية فيرث في المعنى

لم تنجُ نظرية المعنى السياقي التي قدمها فيرث من النقد، على الرغم من أنَّ صاحبها كان دؤوبا في تقويمها من السقطات والهفوات باستمرار، فقد أخذ عليه الدارسون مجموعة مآخذ منها:

١- إنَّه لم يقدِّم نظرية متكاملة، وهذا ما جعل بعضا من أفكاره تفتقر إلى الشرح الوافي، فقد ساق قضايا معزولة عن بعضها بعضا، ضمَّنها في مصطلحات لا تمثل سلسلة واحدة تفضي إلى نظرية متلاحمة في أجزائها ومفاهيمها وفروضها؛ لذا قالوا إنَّ أفكاره يشوبها شيء من الإرباك وعدم التماسك.

٢- لم يقدم فيرث عددا كافيا من المصطلحات والفصائل اللغوية التي تحدد ملامح نظريته، بل لم يعطِ تحديدا وافيا لمفهوم الوظيفة في السياق، على الرغم من أنَّه جعلها أساسا في تعريفه المعنى.

٣- وقد أخذ عليه اللغوي الانكليزي جون لاينز أنَّه لم يُعن بعلاقات المعنى على المستوى المعجمي، كالتضمين، والتضاد، والعكس، والترادف، ولم يُعنَ بفكرة الترابط بين المعنى والإشارة التي قال بها اوجدن ويتشاردز، بداعي أنَّه لا يؤمن بوجود العلاقة بين اللفظ والمعنى في العقل؛ بناءً على أنَّ التفكير العقلي كيان مجرد لا يمكن إدراكه أو التكهن به؛ لذا آمن بالعلاقة بين العناصر اللغوية وسياقات استعمالها؛ بوصفها أمراً ملحوظاً(٣٨).

٤- وعلى صعيد آخر لم يبين أنواع السياقات الاجتماعية التي تُستعمل فيها العناصر اللغوية، ولم يبين كيف يكون كل منها ذا صلة بالآخر؛ بوصفها نظاماً يضم عدداً من الأنظمة.

ويحسب الباحث أنَّ العلة وراء تلك الانتقادات تكمن في أنَّ فيرث لم يقدم نظريته في بحث واحد، أو في سلسلة من البحوث الموصول بعضها في بعضها الآخر، بل جاءت فروضها ومفاهيمها ومصطلحاتها ومعاييرها في بحوث متفرقة، جُمِع شتاتها بعد وفاته، وتمت طباعتها ونشرها في سنوات متفرقة.

أما ما يخص جانب المعنى السياقي، فيحسب الباحث أنَّه بدا واضحا في مفاهيمه ومعاييره وتطبيقاته عند فيرث، وهو ما يزال مستمرا في تطويره تنظيرا وتطبيقا، لولا أن وافاه الأجل وحال دون بلوغ بعض أفكاره مرحلة النضج التام، فكانت سبيلا معبدة بدأ منها هاليداي لبناء نظرية النحو النظامي بعد وفاة أستاذه.

المبحث الثالث

مفهوم المعنى عند مايكل هاليداي

ولد مايكل هاليداي في مدينة ليدز من بريطانيا سنة ١٩٢٥م، وحصل على الدكتوراه من جامعة كمبرج عام ١٩٥٥م. نشر هاليداي أبحاثه في مجال اللسانيات الوظيفية منذ عام ١٩٦١م، واستطاع أن يخلص إلى نظرية في اللغة عرفت بنظرية النحو النظامي Systemic Function Grammar أو النحو النسقي كما يسميها بعض الدارسين، وتقوم هذه

النظرية بأسرها على مبدأ يقر أنَّ البنية تابعة للوظيفة، والوظيفة هنا تمثل المعنى في السياق الاستعمالي لعناصر اللغة.

كان هاليداي أكثر تلامذة فيرث فهماً لأفكار أستاذه وتأثراً بها، فإذا كانت أعمال فيرث قد وُصِفَت بفقدان الوضوح والتماسك، فإنَّ هاليداي هو الذي منحها ذلك الوضوح والتماسك في أبحاثه، حتى أطلق عليه بعض الدارسين هو وزملائه تسمية (الفيرثيون الجدد: Neo- Firthians).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ أفكار فيرث ومفاهيمه لم تكن المعين الوحيد الذي استقى منه هاليداي معايير التحليل اللغوي في نظريته، بل كانت رؤية مالينوفسكي عن سياق الموقف حاضرة في أعمال هاليداي، فضلا عن أعلام آخرين ينتمون إلى مدارس أخرَ، ومنهم بنيامين وورف، وهيلمسلف، وأعمال مدرسة براغ(٣٩).

بنى هاليداي نظريته اللغوية على مقاربة سوسيو- وظيفية حينما جعل جانب الاستعمال الاجتماعي للغة منطلقا لعمله(٤٠). لذا أخذ على عاتقه منذ البدء تأسيس نظرية تمتاز بالوضوح والقصد والشمول في التحليل اللغوي.

المعنى والسياق عند هاليداي

ذكرنا سابقا أنَّ فكرة السياق كانت الأساس الذي استندت إليه مدرسة لندن اللغوية في دراستها المعنى بدءاً بمالينوفسكي ثم فيرث وصولا إلى هاليداي. أما هاليداي فقد طوَّع فكرة السياق التي قال بها أستاذه فيرث، وجعلها معيارا منهجياً في نحوه النظامي إلى جانب معايير أخر؛ إذ وجد أنَّ السياق يمثل معياراً ضابطاً تنكشف فيه العلاقة بين التعبيرات اللغوية والوقائع غير اللغوية، ومن ثم هو خيط رابط بين المعاني الوظيفية التي تقدمها العناصر اللغوية والمعاني المقامية التي تلابس الحدث اللغوي(٤١). ولما كان الأمر كذلك ميَّز هاليداي بين نوعين من المعاني للمبني اللغوي هما ((المعنى الشكلي Formal والمعنى السياقي Contextual، فالمعنى الشكلي هو العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأُخرَ، هو قدرته على التوارد مع عناصر أخرَ والتقابل معها، وما يمكن أن يتعاقب معه منها، ومعنى المعنى بهذا المفهوم بعيد كل البعد عن الاستعمال المعتاد له. والمعنى السياقي هو نتاج الربط بين النص والموقف الذي يتجلى فيه، أي بين نظام وظيفي للغة وبيئة اجتماعية وثقافية تحكم استعماله))(٤٢).

أما منهج التحليل اللغوي لدلالة الجملة، فقد ذهب فيه هاليداي إلى وجوب اتجاه الباحثين نحو البحث عن المعنى في السياق الشكلي، بغاية الوقوف على (المعنى الشكلي) أولاً، وهو سيتكفل بإيصال الباحث إلى (المعنى السياقي)؛ إذ يعتمد اكتشاف الثاني على اكتشاف الأول.

النظام والمعنى عند هاليداي

تابع هاليداي أستاذه فيرث في توظيفه مفهوم النظام في دراسة المعنى، بيد أنَّه وسعه ليشمل الجملة والنص معا. فالنظام عند هاليداي كيان بنائي محدد بمجموعة من العناصر لا يتجاوزها في كل نمط تواصلي، ومن ثم هو مغلق من ناحية عدد العناصر اللغوية المشاركة فيه ونوعها، وهذا الانغلاق يجعله قابلا للملاحظة والقياس من أجل الوصول إلى المعنى السياقي الباني له، وهو مفهوم أقامه على مبدأ الاختيار Choice الذي قال به فيرث من قبل، فاللغة في منظور هاليداي ((بمثابة خزان من الإمكانات الدلالية الموجهة نحو التواصل، ويقوم المتكلم باختيارات ضمن مجموعات من البدائل الدالة))[٤٣]، فهو ملكة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج أفعال كلامية تناسب الموقف التواصلي. هي اختيارات يُراد بها- في المقام الأول- الانجاز الأمثل للمعنى، على الرغم من أنَّ الكلام المنجز يتجلى في كلمة أو جملة أو جمل يأخذ بعضها برقاب بعض، بيد أنه في حقيقته نظام من المعاني، تمت برمجتها في نظام شفرة لغوية Coding من لدن المتكلم، كي يتمكن المتلقي من اكتشاف معناها Decoding. ولئن بدا البناء النصي في بعض السياقات كيانا من جمل متراصفة، فما هو في حقيقته سوى وحدة معنوية تنجز حدثا كلاميا واحدا غير قابل للتجزيء، وليس مجرد وحدة جملية كبيرة[٤٤]. وفي ضوء ذلك ذهب إلى أنَّ المعنى السياقي يكون قسمةً بين العناصر اللغوية المشاركة فيه، فإذا استحوذ بعضها على جزء أكبر من المعنى، فهذا- لا شك- سيكون على حساب العناصر الأخر زيادة ونقصانا. ومثال ذلك أنَّ الجمع بوصفه حالا مقابلا للمفرد في النظام الثلاثي العناصر، والمثنى يمثل حالاً وسطا بينهما، فإنه يفقد جزءا من نصيبه من المعنى للمثنى إذا ما اجتمع معه في سياق واحد، أما إذا أُسقِط المثنى في النظام الثلاثي نفسه عادت نسبة المعنى إلى الجمع[٤٥]. فلو قلنا: ذهب زيد وأخواه وأصدقاؤه إلى الحفل، فإنَّ معنى الذهاب في حدث الفعل سيكون موزعا على الفئات الثلاث التي حضرت، ولو أسقطنا المثنى منها

وقلنا: ذهب زيد وأصدقاؤه إلى الحفل، لكان نصيب الأصدقاء من معنى الذهاب أوفر مما لو اجتمع معه المثنى. ولعل قيمة المعنى هنا مرتبطة بوظيفة العنصر البنائي في سياق التواصل، فالمعنى يختلف في حال ذهاب الفئات الثلاث عما هو عليه في حال ذهاب فئتين.

أما معايير النظام عند هاليداي فهي ثلاثة(٤٦):

١- يكون النظام مغلقاً، أي يحتوي عددا محددا من العناصر اللغوية البانية للمعنى.

٢- يقوم كل نظام لغوي على مبدأ الاختيارات المتاحة، ولكل نظام مجموعة من العناصر المحددة التي يمنع اختيارها من اختيار غيرها في سياق الكلام.

٣- تمثل عناصر النظام شبكة متعالقة في الخواص التي تجعل المعنى الوظيفي للعنصر مرتبطا بشبكة المعاني التي ينتجها اجتماع العناصر الأُخَرَ معه.

التنبؤ بالمعنى وسياق الموقف عند هاليداي

يستند مفهوم التنبؤ إلى توقع كلام الآخر في سياق التواصل، فثمة نسق تواصلي يكون فيه التوقع مغلقا، أي لا يحتمل سوى سبيل واحدة لإيراد الكلام. غير أنَّ هناك انساقاً من التواصل تضم في طياتها أكثر من نظام واحد في ضوء الاحتمالات التي تقدمها البدائل المتاحة في سياق التواصل. ومثال ذلك نسق التواصل المضمر الذي تكثر فيه الاحتمالات.

أما هاليداي فيرى أنَّ إقامة التواصل اللغوي بين الناس هو أمر طبيعي أو يكاد، فالناس غالبا ما يفهم بعضهم بعضا؛ لذا يكون الطابع العام هو نجاح التواصل بينهم. غير أنَّ النجاح أمر نسبي غير مطَّرد وإن كانت نسبته أعلى من الفشل؛ فثمة حالات من التواصل تؤول إلى الفشل وانقطاع سبل الاتصال كافة بين المشاركين، وهو ملحظ أثار حفيظة المعنيين بالأمر من اللغويين والمشتغلين في مجالات التواصل، فسعوا جاهدين نحو التماس الحلول المناسبة للمعوقات التي تعترض سبل التواصل وتحول دون نجاحها. لكن هاليداي قلب الكفة حينما ذهب إلى القول بأننا ينبغي أن نصاب بالدهشة من نجاح التواصل لا من فشله؛ إذ يرى أنَّ الأمر اللافت للنظر هو كيف يفهم الناس بعضهم بعضا على الرغم من المعوقات التي تحيط بهم؟ ثم كيف نفسر نجاح عمليات الاتصال بين الناس؟(٤٧).

أجاب هاليداي عن هذا التساؤل قائلا إنَّ التنبؤ هو السبيل إلى ذلك؛ فنحن نتوقع ما سيرد في سياق التواصل مع الآخرين بناء على طبيعة النظام الاجتماعي الحاكم لوظائف الكلام؛ لذا تكون نسبة المفاجأة قليلة جداً، وحتى لو وجدت المفاجأة، فإنها لا شك ستكون ضئيلة لا تخرج عن سياقات التوقع المألوفة لدينا من جراء الخبرة الاجتماعية. ولعل هذه الظاهرة (التنبؤ) هي أهم ظاهرة في سياق الاتصال الاجتماعي، فالناس يتوقعون بوعي أو من دون وعي، وهذه الملكة هي التي تقودنا نحو الفهم(٤٨). ولكي تتضح القيمة العلمية لمفهوم التنبؤ، انطلق هاليداي من تساؤل قد يثيره اللغويون، وهو: كيف يقوم الإنسان بالتنبؤ في موقف تواصلي معين؟

كانت الإجابة التي التمسها هاليداي لمثل هذا التساؤل هي (سياق الموقف)؛ إذ جعله نقطة الانطلاق نحو التنبؤ والفهم؛ ذلك بأنَّ سياق التواصل من شأنه أن يزود أطراف الخطاب بالمعلومات اللازمة عن المعاني التي يتبادلونها في حوارهم، عن طريق الاستنباط التنبؤي للمعاني التي من الممكن أن يجري تبادلها. ويتم ذلك على وفق الأسس الآتية(٤٩):

١- المجال: Field وهو يمثل موضوع النص الرئيس، لا ما يتفرع منه.
٢- نوع المشاركة: Tenor وتمثل طبيعة العلاقة الكائنة بين أطراف الخطاب.
٣- الصيغة: Mode وتمثل نوع قناة الاتصال أو طريقتها، أهي كتابة أم نطقا.

ساق هاليداي مصداقا لتلك الجوانب الثلاثة أمثلة من الحوارات اليومية التي نشارك فيها الآخرين، في الباص مثلا، أو في المطار، أوفي المقهى، ولنفترض أنَّ الموقف التواصلي بدأ من الآخر، فنحن- في هذه الحال- نستطيع أن نتواصل معه سريعاً ببناء نموذج لسياق المعنى في أذهاننا، وهو ما يقتضي أولاً تحديد المجال بلحاظ ما يجري، ثم نحدد نوع المشاركة برصد طبيعة العلاقة الكائنة بين أطراف الخطاب، أي بيننا وبين الآخر، ثم بعد ذلك يتم تحديدنا صيغة الخطاب الملائم لإقامة عملية التواصل وضمان نجاحها. هذه العمليات تمثل في مجموعها نسقاً من الدينامية العقلية المتوالية بأقصى سرعة؛ كي نتمكن من التنبؤ بالمعاني التي تمثل النقطة الأصل في بناء التواصل.

أنماط (المعنى السياقي) عند هاليداي

ذكرنا فيما تقدم أنَّ المعنى عند هاليداي صنفان: معنى شكلي يتجلى في البنية النصية، ومعنى سياقي يتجلى في ملابسات البنية النصية مع السياقات المحيطة، أي أنَّ المعنى

السياقي يمثل الجانب المجرد في العملية اللغوية، لذا يصعب الوقوف عليه، بخلاف المعنى الشكلي الذي يمثل الجانب المادي منها، ويكون من اليسير الظفر به. ومن أجل ذلك ذهب هاليداي إلى إيضاح المعنى السياقي المجرد في نصوص شعرية ونثرية عمد إلى تحليلها، واستنتج منها أربعة أنماط للمعنى السياقي هي(٥٠):

١- المعنى التجريبي: Experiential Meaning وهذا النمط من المعاني يزودنا بمعلومات عن:

أ- سياق الموقف الذي تتجسد فيه تجربة المتكلم وخبرته.

ب- أصناف المشاركين في الخطاب.

ت- العلاقة بين أطراف الخطاب.

٢- المعنى المنطقي: Logical meaning ويزودنا بمعلومات عن الطريقة التي تُقام بوساطتها علاقة بين السياقات الصغرى (الجزئية) والسياقات الكبرى (الشاملة).

ثم عمد هاليداي بعد حين إلى المعنيين السابقين (التجريبي والمنطقي) وجمعهما في مصطلح واحد أسماه المعنى الفكري: Ideational Meaning.

٣- المعنى التبادلي: Interpersonal meaning هذا الضرب من المعنى يزودنا بمعلومات عن مقاصد المتكلم تجاه المتلقي؛ فقد يُراد الإخبار بالخطاب، أو الاستفهام عن شيء معين، أو قد يُراد به توجيه أمر للمتلقي حملا له على الاستجابة.

٤- المعنى النصي: Textual Meaning وقد جعل له هاليداي وظيفتين هما:

أ- التماسك: Cohesion أي إقامة الوحدة النصية في الكلام سواء أكان منطوقا أم مكتوبا. وجعل السبيل إلى إقامة التماسك يكمن في توظيف أدوات الربط، والإضمار، والإشارة إلى سابق ولاحق، وغير ذلك.

ب- البروز: Prominence وفيه يتم التركيز على جوانب من النص؛ كي تكون بارزة بطريقة تجعلها بؤرة الحدث الكلامي فيه، نحو: زيد حضر، في جواب عن سؤال: من حضر الحفل من الطلاب؟ ففي هذا الجواب قدم زيدا، وجعله محور الحدث الكلامي كي يمنحه سمة البروز المعنوي في السياق. أما في حال انجاز الحدث الكلامي مشافهة أي نطقاً، فإنَّ الضغط على لفظ معين، وجعله موضع النبر في سلسلة الكلام هو الذي يمنحه سمة البروز السياقي، إذ يجعله أوضح في السمع من سواه، ومن ثم يصبح محور الحدث الكلامي، وبؤرة المعنى السياقي.

أتت بعد ذلك مارغريت بري Berry.M وأضافت معنى خامساً علاوة على ما جاء عند هاليداي، وقد أطلقت عليه تسمية المعنى البيئي Background، وهو ما يزودنا بمعلومات عن الخلفية الثقافية للمتكلم(٥١). وأحسب أنَّ هاليداي لم يغفله وإنما ضمنه في مفهوم المعنى التجريبي ولم يصرح به.

وهكذا تكون أنماط المعنى السياقي قد مثلت شبكة من أنظمة المعنى المترابطة مع بعضها بعضا، فهي تعمل معاً في سياق الموقف التواصلي، ولو فُقِد أحدها أفضى إلى خرق قد يصعب معه الوقوف على معنى محدد، ومن ثم تكون احتمالات الفشل في التواصل كبيرة، وحتى على مستوى التحليل اللغوي، فإنَّ توافر أنماط المعنى السياقي جميعاً في النص يفضي إلى نتائج جيدة، وخلاف ذلك يؤدي إلى فشل التحليل اللغوي.

المعنى والتحقيق عند هاليداي

التحقيق Realization هو أحد الأسس المنهجية التي أقام عليها هاليداي نظريته في النحو الوظيفي؛ إذ يمثل العلاقة التي تربط الجانب المجرد من المعنى بشكله المادي. بيد أنَّ هذا المصطلح لم يكن بدعا من عند هاليداي، بل سبقه إليه اللغوي الأمريكي سيدني لامب؛ فكان أحد المفاهيم المنهجية التي أقام عليها لامب نظريته الموسومة بعلم اللغة الطبقاتي (التنضيدي)Stratificational Linguistics. وفي هذا السياق ذهب لامب إلى أنَّ التصورات الكامنة في عقل الإنسان- بوصفها معاني مجردة- من الممكن أن تتجلى بعينها في أصوات إنسانية مادية؛ ذلك بأنَّ اللغة جهاز يضم الجانبين، فهي تضم التصورات التي استقاها العقل من العالم المحيط. وفي مقابل ذلك هي تضم الأصوات اللغوية التي ينتجها المتكلم نطقاً أو يحولها إلى نسيج (كرافي) مكتوب، فتكون سبيلا إلى إخراج هذه التصورات في أفعال كلامية، وهذه العملية تنطلق من التصورات المجردة في العقل إلى الأصوات المادية في ملكة الكلام، فيعمد المتكلم إلى تشفيرها، أي يضعها في أصوات مادية عمادها اللغة، أما المتلقي فالعملية تسير عنده على نحو نقيض؛ إذ ينطلق من الأصوات لفك شفرتها تدريجيا وصولا إلى حال التصورات المجردة التي كانت كامنة في عقل المتكلم قبل انجازها لغوياً(٥٢)، وهو في هذه الحال يتماهى والمتكلم في الحدث الكلامي، فيحدث التفاعل بينهما في سياق التواصل، سواء أكان التفاعل سلبيا أم إيجابياً.

أتى هاليداي واستثمر هذا المفهوم بطريقة ناجعة بعدما وجد فيه سبيلا لحل الإشكال الدائر حول ماهية العلاقة الرابطة بين التصورات الذهنية للمعنى والعناصر المادية المجسدة له، وكيف تكون هذه مصداقا لتلك. فوجد أنَّ العناصر المادية تحقق التصورات الذهنية في مستويين، أحدهما معجمي يحقق المفردات عن طريق تحويلها من حال التجريد الذهني إلى مادة مكتوبة أو منطوقة. أما الجانب الآخر فهو نحوي يكفل تحول المعاني المجردة من العقل إلى الواقع في قوالب بنائية صحيحة تصاغ في جمل منطوقة أو مكتوبة(٥٣).

من هنا كان التحقيق مفهوما يفسر عمليات التجسيد المادي للمعاني التي تكون سبيل التواصل بين المتكلم والمتلقي. فالمتكلم مهمته أن يختار شكل التحقيق لتشفير المعاني كتابة أو نطقا، ثم يأتي عمل المتلقي في فك تلك الرموز المادية المتحققة بإعادتها إلى حال التصور المجرد. غير أنَّه قد ينجح في ذلك أو يفشل، فهو مرهون بظروف الاتصال وأحوال المشاركين فيه.

الخاتمة

بعدما فراغ الباحث من تقصيه مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، خلص إلى جملة من النتائج تتمثل بالآتي:

١- تبين للباحث أنَّ مدرسة لندن منذ نشأتها كانت معنية بالجانب الاجتماعي للغة خلافا للمدارس اللغوية المعاصرة لها، وقد وجدت مندوحة إلى ذلك في (سياق الموقف)، فكان هو الأساس المنهجي الذي شُيِّدت عليه النظريات اللغوية في مدرسة لندن؛ إذ أصبح محوراً لأغلب المصطلحات والمفاهيم التي ظهرت في تلك النظريات، ثم امتد إلى الجانب التطبيقي في التحليل اللغوي، وهذا ما جعله عماد البحث عن سيرورة المعنى في تلك المدرسة، فقدمت فهما جديدا للمعنى جعله محور الدرس اللغوي بعدما كان أمراً طارئاً في التحليل لا يُعبأ به.

٢- لم يكن (سياق الموقف) وليد العجز الذي أصاب مالينوفسكي في ترجمة أفكاره عن لغة البدائيين، كما ذهب بعض الدارسين. بل هو ملحظ علمي ينم على ذكاء صاحبه، وسلامة فطرته اللغوية؛ لذا كان سياق الموقف مصطلحا جديرا بالعناية من لدن اللغويين، فاتخذوه أساسا طوروه في بناء نظريتين متواليتين هما نظرية السياق

لفيرث، ونظرية النحو الوظيفي لهاليداي. فضلا عن ذلك فقد أفاد فلاسفة اللغة من سياق الموقف، وبنو عليه نظريات في اللغة مازالت تعيش بيننا، حتى أنَّ بعض الدارسين يضعونها في طليعة النظريات في مجال فلسفة اللغة ومنها نظرية الفعل الكلامي.

٣- خالف فيرث ما تسالمت عليه المدارس اللغوية في مجال الدرس الصوتي؛ إذ ساوى بين أصوات المباني والمقاطع التطريزية في دلالتها على المعنى. وحجته في ذلك هو إيمانه بتعدد النظم الصوتية في ظل البدائل المتاحة لمستعمل اللغة، وهي بدائل تستند إلى مبدأ الاختيارات الصوتية المتاحة. ولا شك في أنَّ هذا المذهب يمثل علامة فارقة في مجال التحليل الصوتي جديرة بالاهتمام، بيد أنَّها لا تخلو من الخلل في مجال التحليل الصوتي؛ لذا أثارت حفيظة المعاصرين له في المدارس الأخرَ، وأحسب أنهم محقون في ذلك؛ لأنَّ مبدأ تعدد الأنظمة الذي استند إليه فيرث ينقض ذلك المذهب في بعض اللغات التي لا تمتلك سعة من الأنظمة الصوتية التي تمد المتكلم بالتنوع الصوتي على مستوى الاختيارات المتاحة التي قال بها فيرث في تنظيراته ووجد صداها في تطبيقاته على بعض اللغات.

٤- اعتمد الدارسون في مدرسة لندن على مبدأ الاحتمالات المفتوحة في دراستهم المعنى السياقي إلى جانب مبدأ النظام المغلق. بيد أنَّ كلا المبدأين أقيما على أسس الاختيار والتوقع، بناء على أنهما يكفلان نجاح عمليات التواصل بنسب عالية في كلا النظامين المفتوح والمغلق.

٥- أفضت نتيجة المعادلة التي أقامها مالينوفسكي بين البنية والوظيفة إلى اتخاذ الوظيفة أساسا في بلوغ المعنى، وجعل البنية تابعة لها، وهو مبدأ تبناه فيرث وهاليداي، ووسعوا العمل به على مستوى التنظير والتطبيق، فخالفوا بذلك السُنن المتبعة في المدارس اللغوية، ولاسيما البنيوية والتوليدية التحويلية التي كانت تعد البنية أساسا لعملها في التحليل اللغوي، ولا تعتد بوظيفتها، بل تجعل المعنى أمراً هامشيا، وربما لا تلتفت إليه في بعض الحالات.

٦- اعتمد فيرث مفهوم النظام أساسا منهجيا في دراسة المعنى، بيد أنَّه وجد نفسه أمام ضربين من الأنظمة يقدمهما التحليل اللغوي، أحدهما نظام جزئي يتجلى في

السياق اللغوي الجامع لشبكة العناصر اللغوية في تعبير معين، وهذا النظام- في منظور فيرث- عاجز عن تقديم المعنى الكلي ما لم يندرج في ضرب آخر من الأنظمة هي أنظمة كلية شاملة، يكون عمادها الجانب الاجتماعي في استعمال اللغة، وتكون كفيلة بتقديم المعنى بأبعاده كافة؛ وتسمى أنظمة التواصل الاجتماعي، وهي أنظمة تسعى إلى بناء المعنى السياقي إلى جانب المعنى اللغوي.

٧- على الرغم من رجحان الأسس التي أقام عليها هاليداي تفسيره نجاح عملية التواصل في ضوء ما اصطلح عليه بـ(التنبؤ)، فإنَّ ذلك يبقى نسبيا، ولا يصدق على سياقات التواصل اللغوي كافة. فثمة سياقات يعسر فيها التواصل، وقد يكون مستحيلا؛ وفي هذه الحال لا يكون للتنبؤ أدنى فاعلية. ومثال ذلك استعمال الشفرات الفردية في التواصل، واختلاف اللهجة بين أبناء اللغة الواحدة في استعمالهم المفردات إلى حد يتعذر معه فهم الآخر، كالمفردات أو المصطلحات المتداولة في البادية التي لا يفهمها من أبناء المدن إلا من اطلع على معناها في ألفاظ تعادلها من لهجته، فضلا عن اختلاف أنظمة التواصل بين أبناء الريف والمدينة. ولا ينبغي أن نغفل ضياع القصد في تشتت وحدة الكلام واضمحلالها، وهو أمر قد يفضي الى مسارات مخطوءة في التواصل قد تنتهي بمشكلة. هذه وسواها تمثل مشكلات على مستوى التواصل، لم يقف عندها هاليداي. وهذا يجعل رؤيته محددة بحالات التواصل المعتاد، ولاسيما بين المشاركين الذين تجمعهم وحدة الثقافة الاجتماعية.

٨- أولى فيرث عناية فائقة بالجانب المجرد من المعنى في سياق الموقف أكثر من الجانب البنائي للعناصر اللغوية التي يقوم عليها الموقف التواصلي، بل جعلها تابعة للمعنى السياقي. في حين التفت هاليداي إلى الجانبين على حد سواء؛ وبدا ذلك واضحا في تقسيماته المعنى بين شكلي (بنائي) وسياقي (مجرد)، فضلا عن رصده أنماط المعنى السياقي وتحديدها.

٩- لم يفرق أقطاب مدرسة لندن بين المعنى والدلالة، على الرغم من أنَّ الفرق بينهما واضح، بل ساقوا حديثا عن المعنى اختلطت فيه الدلالة. فالمعنى مفهوم واحد يشير إلى مقاصد المتكلم التي يضمنها في سياق حديثه. أما الدلالة فهي مجموعة من

المفاهيم التي تتسم بالتنوع كلما تنوع المتلقون، واختلفت تجاربهم وخبراتهم المعرفية. فضلا عن ذلك فقد قسم فيرث وهاليداي المعنى أنواعا مختلفة، وكانوا يقصدون به الدلالة غالباً، بيد أنَّهم لم يشيروا إلى ذلك.

Abstract

In fact, an aim of this research that to explore meaning concept in functional theories, which introduced in London school by three big researchers: Malinowski, B, Firth .J.R, and Halliday, M.A.K. Then explore the main term in these theories (context of situation).

This research was built on preface, and three sections. In preface I tried to clear the position of London school among other modern linguistic schools in western world. then I explained its method of linguistic study, and its point of view toward meaning.

In first section, I tried to investigate the concept of Malinowski whom was called (context of situation) and then revealed what the relation between this concept and meaning.

In second section, I was put light on Firth by his theory of context to understand how he studied the meaning.

In third section, I researched about meaning by Halliday's point of view. Then I collected the results of research in conclusion.

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تقصي مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية؛ بوصفها المدرسة التي التفتت إلى المعنى من زاوية الاستعمال الاجتماعي دوناً عن المدارس اللغوية المعاصرة لها التي عنيت بالبنية اللغوية فحسب، بمعزل عن سياقات استعمالها، ولاسيما الجانب الاجتماعي؛ أما مدرسة لندن، فقد كانت إحدى سبلها إلى دراسة المعنى مصطلح (سياق الموقف) الذي جاء به الانثروبولوجي مالينوفسكي، ثم جاء جون فيرث ووظف سياق الموقف في دراسته المعنى في نظريته المعروفة بنظرية السياق، أما هاليداي فقد كان تلميذاً باراً لفيرث، أخذ عن أستاذه تلك المفاهيم ذات النزعة

الوظيفية، وأسس عليها منهجه في التحليل اللغوي، وزاد عليها، فخرج بنظريته التي عرفت بنظرية النحو الوظيفي. وكان البحث في المعنى هو الخيط الناظم لعمل أولئك الأعلام في مدرسة لندن.

أما مادة البحث فقد جاءت في مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة، عني المدخل منها يتقصي مفهوم النزعة المدرسية في لندن، وبيان المكانة التي اتخذتها مدرسة لندن بين المدارس المعاصرة، من حيث منهجها في التحليل اللغوي، وآراء أعلامها في دراسة المعنى.

وجاء المبحث الأول بيانا لتجليات المعنى عند مالينوفسكي، بوصفه المحرك الأصل نحو دراسة المعنى في سياقات الاستعمال الاجتماعي. ثم جاء المبحث الثاني بياناً لمفهوم المعنى عند جون فيرث في ضوء الاتجاهات التي سلكها أسساً لنظريته في السياق. وتكفل المبحث الثالث ببيان مفهوم المعنى عند هاليداي في ضوء المفاهيم التي ساقها في نظرية الوظيفية. أما الخاتمة فقد ضمت أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

هوامش البحث

(١) سورة البقرة: من الآية:٢٨٦.

(٢) جميل صليبا: المعجم الفلسفي: ٢/ ٣٥٨-٣٥٩.

(٣) ينظر: سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة:٢٢٨.

(٤) بنظر: كمال محمد بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد:١٤٥.

(٥) روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض:٣٠١، وينظر: جون لوينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب:١٧.

(٦) ينظر: سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة:٢٣٨.

(7) Malinowski, B. The Problem Of Meaning In Primitive Languages, In: Ogden & Richards. (1923), (eds): The Meaning Of Meaning. P. 301

وينظر: بالمر: علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة:٦١.

(8) Malinowski, B. The Problem Of Meaning In Primitive Languages, In Ogden & Richards. (1923), (eds): The Meaning Of Meaning. P.306 - Halliday & Hasan. Language, text, and context. P.7

(٩) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٣.

(١٠) محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي:٢٣، وينظر: سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة:٢٣٨.

(11) Malinowski, B. The Problem Of Meaning In Primitive Languages, In Ogden & Richards. (1923), (eds): The Meaning Of Meaning. P. 306

(١٢) ينظر: سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة:٢٢٧، وروبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض:٣١٦.

(13) Halliday & Hasan. Language, text, and context. P.8.

(١٤) مصطفى لطفي: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي:٣٢.، وينظر: محمود أحمد نحلة: علم اللغة التظامي:٢٨.

(١٥) ينظر: سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة:٢٣٦. وينظر: علم اللغة النظامي: محمود احمد نحلة:١٧.

(١٦) سامسون: مدارس اللسانيات التطور والصراع، ترجمة: محمد زياد كبة:٢٢٩.

(١٧) ينظر: م. ن:٢٣١.

(١٨) ينظر: محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى: ١١٨.

(١٩) ينظر: محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي:١٨.

(٢٠) ينظر: محمد حسن عبد العزيز: المصاحبة في التعبير اللغوي:٣٤.

(21) Firth, J. R . (1957). Papers In Linguistics. P.20.

(٢٢) اللغة الفيجية: هي إحدى اللغات التي تنتمي إلى صنف اللغات الاسترالية، والى فصيلة اللغات الماليوبوليزينية. وهي الآن اللغة الرسمية في جمهورية جزر فيجي الواقعة في جنوب المحيط الهادي شمال شرق الجزيرة الشمالية لنيوزيلندا.

(٢٣) محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي: ٢٠.

(24) Firth, J. R . (1957). Papers In Linguistics. P.227.

وينظر: محمود احمد نحلة: علم اللغة النظامي:٢٠.

(25) Firth, J. R . (1957). Papers In Linguistics. P.20.

(٢٦) أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ٦٩.

(٢٧) فصلت: من الآية:٤٠

(٢٨) صحيح البخاري: ٣٠٥/٧، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، الحديث رقم: ٣٩٨٣.

(٢٩) ينظر: ردة الله الطلحي: دلالة السياق:١٩٢.

(٣٠) ينظر: محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى:١٢٣.

(٣١) كمال محمد بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد:١٥٢.

(٣٢) ينظر: م. ن: ١٤٨.

(٣٣) م. ن: ١٤٩.

(٣٤) ينظر: محمد حسن عبد العزيز: المصاحبة في التعبير اللغوي:١٦.

(٣٥) ينظر: بالمر: علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة:٨٧.

(٣٦) ينظر: محمد حسن عبد العزيز: المصاحبة في التعبير اللغوي:١٤.

(٣٧) ينظر: علي عزت: اللغة ونظرية السياق:٢٣ (بحث)

(٣٨) ينظر: محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى:١٢٤.

(٣٩) ينظر: بافو وسرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، ترجمة: محمد الراضي:٢٢٧-٢٢٨.

(٤٠) ينظر: م. ن: ٢٢٧.

(41) Halliday, M. A. K. (1961): Categories Of The Theory Of Grammar, In: Kress,G. (eds) (1976): Halliday: System And Function In Language. P.53.

(٤٢) محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي:٥٨.

(٤٣) بافو وسرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، ترجمة: محمد الراضي:٢٢٩-٢٣٠.

(44) Halliday & Hasan, (1976). Cohesion In English. P. 293.

(45) Berry, M. (1977). An Introduction To Systematic Linguistics. Vol 1. P.144.

(٤٦) ينظر: محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي:١٠٤.

(47) Halliday & Hasan. Language, text, and context. P.9.

(48) Ibid, P.9.

(49) Halliday & Hasan. Language, text, and context. P.12.

(50) Halliday & Hasan. Language, text, and context. P.18-21.

وينظر: محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي: ٦٥-٦٦.

(51) Berry, M. (1977). An Introduction To Systematic Linguistics. Vol 2. P.124.

(٥٢) ينظر: روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة : احمد عوض:٣٢٢-٣٢٣، وينظر: محمود احمد نحلة: علم اللغة النظامي:١٢٨.

(٥٣) ينظر: محمود احمد نحلة: علم اللغة النظامي:٧٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١- القرآن الكريم.

٢- أحمد مختار عمر (الدكتور): علم الدلالة، مكتبة دار العروبة- الكويت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ط١.

٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الملقب بالبخاري: صحيح البخاري، شرح وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت، د.ت، د.ط.

٤- جميل صليبا (الدكتور): المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، د.ط.

٥- ردة الله بن ردة الطلحي (الدكتور): دلالة السياق، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ، ط١.

٦- القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر الملقب بالقزويني (ت٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم- بيروت، ١٩٩٨م، ط٤.

٧- كمال محمد بشر (الدكتور): التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب- القاهرة، ٢٠٠٥م، د.ط.

٨- محمد حسن عبد العزيز (الدكتور): المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٩٩٠م- ١٤١٠هـ.

٩- محمد محمد يونس علي (الدكتور): المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الاسلامي- بيروت،٢٠٠٧، ط٢.

١٠- محمود أحمد نحلة (الدكتور): علم اللغة النظامي- مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ط٢.

١١- مصطفى لطفي (الدكتور): اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، بيروت، ١٩٨١م، د.ط.

ثانيا: المراجع المترجمة

١- أف. آر. بالمر: علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، ١٩٨٥م مطبعة العمال المركزية- بغداد، د.ط.

٢- بافو و سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ٢٠١٢م، ط١.

٣- جفري سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والصراع، ترجمة: دكتور: محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، د.ط.
٤- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: الدكتور: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ١٩٨٧م، ط.١.
٥- ر.هـ . روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة الدكتور: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٧م، د.ط.

ثالثاً: المجلات العلمية العربية:

١- علي عزت (الدكتور): اللغة ونظرية السياق، مجلة الفكر المعاصر، ع٧٦، ١٩٧١م.

رابعاً: المؤلفات الأجنبية:

1- Berry, M. (1977): An Introduction To Systemic Linguistics, B.T. Bastford London And Sydny.
2- Firth, J.R. (1957): Papers In Linguistics 1934-1951, Oxford University Press.
3- Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989): Language, Text, and Context: Aspects Of Language In A Social- Semiotics Perspective, Oxford University Press.
4- Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1976): Cohesion In English, Longman Group Limited, London.
5- Halliday, M. A. K. (1961): Categories Of The Theory Of Grammar, In: Kress, G (ed) (1976): Halliday: System And Function In Language, Oxford University Press, London.
6- Malinowski, B. (1923): The Problem Of Meaning In Primitive Languages, In: Ogden, c.k. & Richards, I. A. (eds) (1923): The Meaning Of Meaning, A Harvest Book, Harcourt, Brace & World, Inc, New York.